مقاربة بين الفلسفة والتصوف في مفهوم الموت
تغاير في الخطاب اندماج في الرؤية

أ/ خيرة بن عيسى
جامعة تلمسان

لاشك أن أي محاولة لوضع الفلسفة والتصوف في ميزان واحد هي مخاطرة فكرية قد تنتهي إلى فهم أحد الخطابين على حساب الآخر أو إلى وضع العقل في صراع مع الإيمان ، لكن إذا علمنا أن الإيمان يشمل العقل ،وأن هذا الأخير يقبله ، وإن كان ذلك ليس متوازيا وكليا ،فإن المقاربة ستكون ممكنة ، أما المقارنة فلا حرج فيها لأنها تضع كل فهم داخل سياقه الحقيقي ،وتبحث فيما إذا كانت هناك إمكانية التداخل بأن تعرفه وتميزه عن المختلف عنه .

أما المقاربة فهي محاولة لجعل المتنافر مندمجا ،والمتباعد مقتربا والبحث عن كل ما يجعل ذلك ممكنا ،فتتجلى لنا مواقع التقاطع ، لكن بحذر شديد حتى لا ننزلق في مخاطرة تغليب أحد المتنافرين فنتحول من المقاربة إلى الدفاع.

وهي مقاربة سيضيق مجالها تدريجيا بما أن المبدأ هو البحث عن الممكنات التي تساعدنا على تأكيد الالتقاء .

و ليس غريبا و لا مستحيلا هذا التقارب بين الخطابين ،لأننا لو قمنا بقراءة تاريخ أحدهما لوجدنا حضور الآخر فيه بشكل من الأشكال ،هي إذا حقيقة لا يمكن إغفالها أو تجاوزها لأن ذلك سيكون إجحافا بحق كل منهما.

فإذا كان التصوف يتميز بمعطيات و مبادئ تفصله عن أي خطاب فكري أو ديني آخر وتجعل منه منبرا للعشق والحب الإلهيين و الخلوة و السكر و الزهد و الترفع عن ملذات الجسد بحثا عن الانغماس و التناهي في بساط الحضرة الإلهية ...، فإذا كان التصوف كذلك ، فإن الفلسفة تتأمل فيه ،بل و تجعل منه فلسفة وهي لا ترفض ما هو روحي ،إذ كان لها في مسائل الاعتقاد و الإيمان و الاتحاد و الحلول و والمعرفة والفناء ووحدة الإله و التعدد...اهتمام وتأملات.

وفي المقابل لم يكن التصوف عبر كل تاريخه منعزلا عن الفلسفة ونحن نعلم أن هناك من المتصوفة من ساق نظرية في التصوف على طريقة الفلاسفة ،فعلى سبيل المثال وليس الحصر التصوف النظري عند "ابن سينا"(370-428 هـ) الذي اعتمد النظر العقلي للوصول إلى العلم الإلهي ، و لا شك أن كتاب "الإشارات والتنبيهات" خاصة النمط الثامن و التاسع منه وحتى السابع دليل واضح على ذلك ،فلقد رتب فيه ابن سينا "علوم الصوفية ترتيبا ما سبقه إليه من قبله ولا لحقه فيه من بعده"[1]،إذ يتكلم فيه عن التصوف والعرفان والعارف ودرجاتهم ،ويبين كيف يصلون إلى الكمال ومتى يشرق لهم نور الحق في سرهم ، وذلك

بانتهاج التأمل في ملكوته وجبروته حتى تفرغ النفس الإنسانية وتتطهر من كل ما سوى الحق ولا تعرف غير الحق ،فتستبصر وتكاشف وتُحصِّل الكمال.

وإن كان ما سبق هو تأكيد على تبني الفلسفة لمسائل التصوف ،واعتماد هذا الأخير النظر العقلي والتأمل عند بعض أعلامه ،فان غايتي ليست هنا ،بل إن توجهي سيكون من هذا المنطلق نحو المقاربة بين احد أكبر المفاهيم الذي مثل تساؤلا حقيقيا وموضوعا روحيا تأمليا لكلا الخطابين على حد السواء.

وإضافة إلى كونه كذلك ، فقد أعتبر سلطة قاهرة تجاوزت غضب الطبيعة، وإن كان جزءا منها ، و اتخذ لنفسه سلطانا ورمزا للخوف و الإحباط و الحزن ،و كان من ناحية أخرى مهربا من الألم و الخوف ذاته. فحمل تناقضا ينعدم إدراكنا و فهمنا له بمجرد التفكير في أحد طرفيه.

و هو مشكلة كانت و لا تزال تشكل هاجسا كبيرا على الإنسانية و ارتبطت بتفسيرات مختلفة تغلغلت في الوجود البشري، إذ حاول الإنسان أن يقدم حولها تصورات و تبريرات لكنه ظل دائما عاجزا عن قهرها و بقي تحت سلطانها و سيطرتها ، رغم إدعائه في بعض الأحيان باللامبالات و اللاخوف منها.

هو أيضا حادثة خارجة عن نطاق وعينا و ممارستنا ، فنحن لا نستطيع تحصيل أي معرفة مباشرة به وكل تفكير ينتج حوله ما هو في الحقيقة إلا من خلال تجربة الآخر ، الذي ينقطع اتصالنا به بمجرد وقوعه تحت سيطرته ،ونحن لا ندركه في اللحظة التي نعيشه فيها أو قبلها ،لأنه يفقدنا و عينا بذواتنا و به في حينه أي في وقوعه ، فهو إذا موقف لكل إحساس و تفكير أو بالأحرى للوجود ،وهو الموت.

لعل كل هذه الاعتبارات هي التي دفعتنا إلى محاولة فهمه وهذا من ناحية ،أما من ناحية أخرى وهي الأهم فإننا سنحاول أن نفهم الموت داخل الخطابين اللّذين أسلفنا ذكرهما .

وسيكون هاجسنا تأكيد اتفاقهما،أو على الأقل تقاربهما في فهم الموت ليس في كليتهما ، بل من خلال استنطاق تجربة وفلسفة الموت عند أبرز الفلاسفة اليونان و هو سقراط [2] ،و عند أحد أكبر المتصوفة وأكثرهم صوفية و هو " الحسين ابن منصور الحلاج"[3]

إذ كيف سيفهم كل منهما الموت ؟ وما هي المنطلقات التي سيؤسسان عليها تصوراتهما ؟ و الأهم من ذلك كله كيف سيفقد كل من سقراط و الحلاج " الموت" سلطته القاهرة و جبروته و يعطيانه مفهوما جديدا يخالفه تماما و هو الحياة، بل هو طريق للحياة الحقيقية والحرية و المعرفة الخالصة ؟ و كيف يمكن بذلك أن تلتقي الرؤية الفلسفية مع الصوفية حول الموت ؟ و ما هي الأبعاد الفكرية الفلسفية والروحية التي يمكن استخلاصها من خلال ذلك كله ؟

بداية يعرف الموت لغة من الفعل مات يموت موتا، بمعنى توفى وانقضى أجله وهلك ،" و أصل معناه انعدام القوة النامية في الحيوان والنبات ، و يعم فيكون زوال القوة الحسية وزوال القوة العاقلة وهو الجهالة والحزن والخوف المكدر للحياة "[4].

ويقول " ابن منظور" في كتابه " لسان العرب :"يقال مات فلان وتوفى وأودى وهلك وقاسى الموت الأحمر ، والموت الصّهابي وهو الموت قتلا ، والموت الأغبر وهو الموت جوعا ، والموت الأسود وهو الموت خنقا أو غرقا والموت الأبيض وهو موت الفجأة" .

وإلى جانب هذا التعريف اللغوي كان الموت حاضرا في كل المجالات العلمية [5]والفلسفية والدينية وغيرها، وإنه لمن الصعب أن نجمعها كلها دون الوقوف عند كل خطاب ، إلا أن ما يمكن قوله والتأكيد عليه أو بالأحرى ما أتفق عليه في تعريف الموت هو أنه نهاية أو ضد الحياة[6]، أو الوجه الآخر لها ، أو الانتقال من الحركة إلى السكون .

أما أننا إذا التفتنا إلى تأمل الفلسفة للموت فإن الأمر لن يكون بهذه السهولة ،لسببين الأول لأن الفكرة عميقة جدا ،وثانيا لان الفلسفة لم تتفق يوما من خلال تأملاتها ونظرياتها حول أي مسألة ،فكيف لها أن تفصل في تأملها للموت ؟

وأنا أجد نفسي حائرة في تقديم تصور الفلسفة له بين من ينفي الموت ولا يفكر فيه كما يعتبره "أبقور" الذي يقول :" ليس للموت وجود بالقياس إلينا ، لأنه طالما كنا أحياء فليس ثمة موت ، وبمجرد ما يوجد الموت فإننا لن نكون أحياء "[7] ،وبين من يحاول التخلص من الخوف منه فيبحث عن طرق تقوي عزيمته وتجعل منه أمرا محتوما لابد من قبوله كما نقبل الحياة ،وفي هذا يقول " سنكا " [8] من لا يملك إرادة الموت لا يملك إرادة الحياة ، فقد مُنِحت لنا الحياة فحسب شريطة أن نلاقي الموت ، وهي تتحرك باتجاه الموت ، ومن هنا فإنه من الحماقة أن يرهبنا الموت"[9] .

وفي خلال هذه اللامبالات والاعتراف هناك من اعتبر الموت مشروعا يحطكم كل المشاريع ويفرغ الحياة من كل معنى وهو الفيلسوف الفرنسي المعاصر "سارتر" الذي يقول :"الموت ليس أبدا ما يعطي للحياة معناها ،إذ على العكس ما يسلبها من حيث المبدأ كل معنى ،فإذا علينا أن نموت فحياتنا لا معنى لها ،لان مشاكلنا لا تتلقى أي حل ولان معنى المشاكل نفسه يبقى غير محدد"[10]

إن هذه التأملات وغيرها التي لم يسعنا ذكرها ،لَتأكيد على مدى تأثير الموت على العقل الإنساني الذي احتضنها واستبشر بها حينا ،ورفضها ولم يكترث بها وانزعج منها حينا آخر، وراح خلال ذلك كله يسوق حولها فلسفة.

أما المتصوفة فلن يختلفوا في فهمهم للموت ،بل إنهم لم يسرفوا وقتهم في التفكير فيه أو الخوف منه لأنه كان غايتهم ومبتغاهم ،وحياتهم به ،فانتهجوا طريق الزهد والعبادة وقمع النفس وانصرفوا عن كل ما سوى الله ،إذ الموت عندهم هو "قَمْعُ هَوَى النَّفْس،فمن مات عن هوَاه فقد حَيِي بِهُدَاه"[11]

فكان المتصوف يؤمن بأن الموت الطبيعي هو موت حاصل و لا يقارن بنشوة ذلك الموت الذي يعيشه الإنسان عندما يجاهد نفسه بالعبادات و المجاهدات ليصل إلى مقام الأولياء و الشهداء ، فتنكشف له الحقائق الإلهية وتشرق له الأنوار في سره "فمن مات عن هواه فقد حيي بهدايته عن الضلالة و بمعرفته عن الجهالة" [12]

و قد شبّه الصوفية هذا الموت بالسفر الذي يحقق من خلاله المريد لقاءا جزئيا مع الله ، و هو يخفف من عذاب الشوق و تسمى هذه المرتبة بمرتبة الفناء ، فالغزالي يقول " إنّ العارف الكامل في حال فنائه قد مات موتا في حق الدنيا و في حق كل ما يفارقه بالموت "[13]

فالموت إذا عندهم موتان ،أحدهما طبيعي أو كما يسميه "ابن عربي" موت الصورة الجسدية وهو"ظاهرة عامة في الكائنات جميعها بما فيها الإنسان "[14]، والأخر إرادي وهو مجاهدة النفس ودفعها إلى التخلص من الشهوات والابتعاد عن الدنيا والزهد فيها ،وهو يعتمد على إرادة الإنسان وقدرته على التخلص من الأهواء ومطالب النفس ، وتمثل ذلك من خلال الموتات الأربع عند الصوفية وهي الموت الأحمر و الأبيض والموت الأخضر والأسود ،أما الأول فهو " مخالفة النفس، والموت الأبيض الجوع لأنّه يُنَوِّر الباطن ويُبَيِضُ وجه القلب ،فمن مات بِطْنَتُه حيّ فِطْنَتُهُ ، والموت الأخضر لُبسُ المرَقَّع من الخِرَقِ الملقَاةِ التي لا قيمة لها لاخضِرَار عَيْشِهِ بالقَنَاعَةِ ، والموت الأسود هو احتمال أذَى الخَلْقِ،وهو الفَنَاءُ في الله لشهود الأذى منه برؤية فناءِ الأفعال في فِعْلِ مَحْبُوبِهِ " [15]

فلم يرتبط الموت بمعنى الخوف والفزع والهروب والقدر المحتوم، وإنما عبر عن خلاص و عن حياة خفية أسمى وأرقى يجب أن يسعى إليها المريد لكي يحقق الاتصال الإرادي بالمحبوب ، ويترفع عن جميع شهوات النفس ورغباتها.

لاشك أن هذه التصورات السابقة حول الموت قد أبدت اختلافا واسعا بين ما يقوله الفلاسفة وما يقوله المتصوفة ،ونحن داخل هذا التنافر سنقارب بينهما ،إذ أن استنطاق أقوال سقراط والحلاج سيكشف لنا عن ذلك ، وهذا لا يعني مطلقا أن الحلاج اختلف عن غيره من المتصوفة ،بل إن الفلسفة ومع سقراط ستتفق معه في بعض تأملاتها .

إلا أن غرضنا هنا ليس تأكيد فكرة أن كلاهما واجه الموت بشجاعة ،أو أنهما كانا ضد التقاليد واستشهدا في سبيل رسالتهما ...، و هي قراءات كثيرا ما تكرر في المقاربة بين تجربة رمز التصوف الشهيد المصلوب وبين رمز الفلسفة والأخلاق سقراط –كما يسميان في كثير من الأحيان –،بقدر ما أن غرضنا هو قراءة لنصوصهما حول الموت والتي من خلالها سيكون هذا الأخير حاملا لمعاني جديدة ولقيم مغايرة أفرغته من كل سلطة ومنحته ضده فكان الموت هو الحياة وهو عتبة على الحقيقة والاتصال والبقاء والحرية.

أما تصور"سقراط "للموت فقد ورد في مواضع كثيرة من المحاورات وكان ذلك على لسان أفلاطون وخاصة في محاورة "فيدون " التي تُصور اللّحظات الأخيرة من حياته ومواقفه من الموت ، إذ يعتبره انفصالا " وهل هو شيء آخر غير انفصال

النفس عن الجسد ؟ أليست حالة الموت هي أن يكون الجسد بمفرده ومنفصلا عن النفس وقائما بذاته ، وأن تكون النفس من جهة أخرى بمفردها منفصلة عن الجسد وقائمة بذاتها" [16]

إن المتأمل في هذه الفكرة الأخيرة سيفهم طبيعة الموت كما يوضحها سقراط والتي يحصرها في بداية الأمر في انقطاع أي تواصل وارتباط بين النفس والجسد.

إلا أن تصوره له لن يكون محصورا في هذا المعنى الذي هو في الحقيقة متداول ومعروف لدينا ،بل إن سقراط تقصده لغرض تأكيد فكرة أخرى أعمق بالنسبة له ،وهي أنه بالموت (الانفصال) نتحول من الحياة التي نعيشها إلى الحياة الحقيقية ،وحينها فقط يمكن أن نكون أحرارا وكأن النفس مسجونة في الجسد ولن تجد حريتها ، ولن تصل إلى الحقيقة والخلاص إلا من خلال انفصالها عنه " أو ليس هذا هو ما يسمى بالموت تحرر النفس وانفصالها عن الجسد "[17].

فالموت بالنسبة له يكون مرادفا للحياة وليس ضدا لها ،فهو إذا " الحياة" و أما الذي يفنى هو الجسد و الذي ينقضي هو الحياة الدنيوية و هنا تتحرر النفس و تصل إلى الصفاء كي تعيش مع الإله، فالموت ليس النهاية و إنما تبدأ الحياة الحقيقية عند الموت .

إلا أن الحياة التي يكون الموت مرادفا لها ليست تلك التي يحياها الإنسان وهو في صراع مع الجسد ومتطلباته ، بل هو ضد لها وعلتها و مرتبط بها و من دونها لا يمكن أن نتكلم عن الموت ،الذي هو حياة من نوع خاص ،بعيدة عن الجسد وعن معرفة الحواس وغير محدودة إذ لا يعقبها موت ،فهو إذا حياة أبدية ودائمة ،إذ أن النفس لا تعرف صفاءها ولا يتحقق وجودها إلى من خلاله فهي في تلك اللحظة فقط" تتوجه إلى هناك إلى ما هو خالد وما لا يفنى وما يبقى هو هو دائما ،وبسبب صلتها به ،فإنها تأخذ بالقرب منه مكانها الذي يبيحه لها دائما وجودها في ذاتها وبذاتها ،وعلى هذا فإنها تقف عن هيامها ..."[18].

إن هذا التصور الأخير سيغير كل المعاني المعتادة لتتحول الحياة التي يعيشها الإنسان إلى مصدر هم وحزن وحسرة ،ويصبح الموت هو الغاية كلها و به تحصل السعادة ، إذ من خلاله فقط يمكن أن نحيا فهو خاتمة الحزن والجهل .

وتكون بذلك حياة الإنسان قبل الانفصال بمثابة سجن له ،لأن النفس تكون مقيدة بمطالب الجسد فتقع أسيرة تحت ماديته وسلبيته ولا تستطيع بلوغ أي درجة من المعرفة والحقيقة ،لذلك يجب عليها أن تسعى إلى التحرر منه وذلك بالابتعاد قدر الإمكان عن ما يدعوها إليه،وأما تحررها الفعلي يكون من خلال انفصالها عنه وذلك بالموت الذي هو حريتها.

إذ لا يمكن للإنسان حسب سقراط أن يعرف الأشياء على حقيقتها بل يكون خلال حياته كلها هائما و محصورا بين التذبذب والاضطراب وذلك بسبب " الدخيل الذي يجعل في آذاننا وقرا ويبعث فينا اضطرابا ويشيع قلقا إلى درجة تجعلنا عاجزين عن تمييز الحقيقة "[19].

إنّ هذا الدخيل — أي الجسد – عند سقراط هو السجن والجهل والحياة الفانية والممتزج والناقص والفاسد الذي لا يجب الاكتراث به ،بل إن العمل على إخضاعه وتطهيره هو الطريق الوحيد نحوبلوغ الكمال .

و هذا الطريق يسميه سقراط بالتدرب و في مواضع أخرى بالممارسة أو الامتهان أو التطهير ، فالمعرفة لا يمكن بلوغها إلا من خلال التمرس على عملية تحصيلها ، و هي ليست في إمكانية عامة الناس لأنها خاصة فقط بمن يستطيع أن يتجاوز بدنه، وأن التدرب لا يُمّكن من بلوغها بشكل كامل و خالص ، بل إن ذلك هو فقط طريق يقربنا منها إلى أن نُحَصِّلها تامة بالموت "وهكذا يظهر لنا بالفعل أنه إذا كان لنا أن نعرف على الإطلاق شيئا معرفة خالصة، فإنه علينا أن نبتعد عن الجسد و أن تتأمل النفس ذاتها الأشياء ذاتها و عند ذلك فيما يبدو فإننا سنحوز ما نهفو إليه ... ألا و هو الفكر بعد أن نموت ...أما بينما نحن أحياء فلا".[20]

ربما هنا نفهم لماذا "سقراط" يؤكد على أن تمام المعرفة لا يكون إلا بالموت لأنه في خلاله تكون الروح قد انفصلت عن الجسد و اتضحت لها الرؤية و هي كاملة خالصة ، صفاتها مثل صفات المعرفة ، و الحوار الذي أجراه سقراط مع أحد محاوريه وهو "سيمياس"يمكن أن يوضح هذا القصد أكثر و سنوجز بعضا منه فيما يلي :

سأل سقراط سيمياس فيما: إذا كان بإمكانه أن يعرف الجمال أو الخير المطلق ؟

سيمياس فأجابه : بأن ذلك ممكن.

ثم سأله سقراط : فيما إذا كان قد رأى بعينه أو بأي حاسة أخرى من جسمه ذلك ؟

فأجابه : بالنفي .

فيقول سقراط " و لكن ذلك الذي يستطيع فعل هذا على أنقى وجه ، أليس هو من سيقترب من كل شيء بقدر الإمكان بالعقل ، و بالعقل وحده ، و الذي لن يصطحب معه في فعل تعاقبه لا البصر و لا أية حاسة أخرى ،و لن يجعل واحدة منها ترتبط بهذه الحاسة ، بل يستخدم العقل ذاته ، قائما بذاته ليجري وراء صيد الموجودات" [21]

فطبيعة المعرفة هي من طبيعة الروح لا تصافها بالكمال و التّمام و الوضوح و اللازمانية ،وفي هذه اللحظة التي تتحد فيها الروح بالمعرفة من خلال الموت طبعا يتحقق الوجود الإنساني.

فالموت إذا عند هذا الحكيم اليوناني هو الحياة في أتم صورها ، وما دمنا مجبرين على اجتياز فترة من الزمن قبل الوصول إليها ، فإنه لابد من التدرب و التطهر للوصول تدريجيا إلى الكمال ،و احتقار الجسد لأنه يعيق كل آمالنا وتطلعاتنا .

كل هذه المفاهيم التي أسس عليها "سقراط" فلسفته في الموت سنجدها حاضرة في صوفية " الحلاج" و رغم الاختلاف القائم بينهما إلا أنهما يتفقان في النهاية ،إذ أن هذا المتصوف سيعتبر الموت كذلك حياة حقيقية ويدعو إلى الانفصال و التحرر من الجسد ،لأن الإنسان في تصوره مسجون و لن يكون حرا إلا عندما يموت .

وسنحاول فيما يلي أن نؤكد هذه القناعات التي آمن بها الحلاج وكان يوطنها دائما بشكواه ووجده وشوقه إلى الله ، فكانت كل أقواله وشطحاته[22] وصيحاته في الناس وكذلك مناجاته للحق في حالات وجده وسكره تأكيدا لذلك.

إلا أنه لم يفرد لنا كتابا خاصا يتكلم فيه عن الموت كما فعل سقراط ، فلا يوجد نص صريح عن ذلك سواء في الديوان أو في كتاب الطواسين[23]، أو التفسير والروايات التي رويت عنه في أخبار "الحلاج".

لكنه سيتكلم عنه في مواضع عديدة وذلك بالرمز إليه بمرادفات أو معاني ، فمثلا يستعمل الحلاج كلمة (تلفت) فيقول:

يَا مَنْ به كَلِفَتْ نَفْسِي فَقَدْ تَلِفَتْ وُجْدًا فَصِرْتُ رَهِينًا تَحْتَ أَهْوَائِي [24]

ويقول كذلك مستعملا كلمة (إقبضني):

فَهَا أنا فِي حَبْسِ الحَيَاةِ مُمَنَّعٌ مِنَ الأُنسِ فاقْبِضْنِي إليكَ مِنَ الحَبْسِ [25]

وكلمة [إقْبِضْنِي]هنا أيضا تدل على الموت أو بالأحرى رغبة الحلاج في الموت ،وستكون لنا وقفة عند هذه المعاني لاحقا، وعند أبيات أخرى وأقوال كثيرة سنتطرق إليها ، على أنة يجب أن ننبه القارئ في هذا المقام إلى أن أقوال "الحلاج" بما فيها البيتين السابقين كانت محل تأويل تراوح بين الإدانة والتبرير، ولاشك أن هذا هو السر الذي جعله أسطورة في العشق وشخصية فريدة في تاريخ التصوف ،وفي تحطيم حواجز اللغة وضيق العبارة

إنّ الحلاج باعتباره متصوفا لم يختلف عن فهم الصوفية للموت وهو ما أشرنا إليه سابقا ، فكان يفني في حبه للحق ويجاهد نفسه بالعبادة ، و ينقطع عن الدنيا و يتصل فقط بالله ،فتنكشف له الحقائق الإلهية انكشافا بحيث يشاهدها بعين بصيرته ، ويتوقف إحساسه بالعالم فيدخل في رحاب الحق و يموت بذلك عن الخلق .

لكنه رغم ذلك و رغم بلوغه مرتبة الفناء لم يستطع تحمل شدة الشوق ، و أنّ ذلك لم يزده إلاّ عطشا وأنّ الحب قد تملكه وشغله عن كل شيء فكان ينشد قائلا :

واللهِ مَا طَلَّعَتْ شَمْسٌ وَ لاَ غَرُبَتْ إلاَّ و حُبُّكَ مَقْرُونٌ بِأَنْفَاسي

وَ لاَ جَلَسْتُ إلى قَوْمٍ أحَدِّثُهُمْ إلاّ وَ أنْتَ حَدِيثِي بَيْنَ جُلاَّسِي

ولاَ هَمَمْتُ بِشُرْبِ الماءِ مِنْ عَطَش إلاَّ و رَأيْتُ خَيَالاً مِنْكَ فِي الكَاسِ [26]

فكان " الحلاج" و هو حامل لكل هذا الشوق و الحب يعتقد أنه سجين في هذه الحياة ، و حريته لن تكون إلا بالموت ، لأن هذا الأخير هو الذي سيخلصه و سيريحه من المعاناة التي جعلته أسيرا ، فقد كان ينادي في جامع المنصور قائلا :" يأيها الناس اسمعوا مني واحدة ، فاجتمع عليه خلق كثير فمنهم محب و منهم منكر فقال : اعلموا أنّ الله تعالى أباح لكم دمي فاقتلوني ...فاقتلوني تأجروا و أستريح" [27]

فها هو الموت ثانية تعبير عن الخلاص و الحرية عند هذا المتصوف ،كما كان كذلك عند "سقراط" إذ يقول :

فَهَا أنَا فِي حَبْسِ الحَيَاةِ مُمَتَّعٌ مِنِ الأُنْسِ فَاقْبَضْنِي إلَيْكَ مِنَ الحَبْسِ [28]

و" الحلاج" كان يتوق إلى أن تتحرر نفسه المسجونة، لذلك كان الصوفية "يشبه النفس بالطائر السجين الذي هبط إلى الأرض من عالم السماء و لكنه لا يفتأ يحن إلى وطنه و يحاول الإفلات من قفصه"[29]،هذه هي رغبة الحلاج الذي احترقت نفسه بنار الشوق إلى معشوقها ، وهو حي لم يستطع العيش بسلام لان مرغوبه كان يلازمه دائما وتلك الملازمة لحلاوتها إلا أنها كانت تجعله في مكانة وسط فلا هو حي ينعم بوجوده ولا هو ميت يرتاح من ألم الملازمة والشوق " فكان يصبح في الأسواق و هو في حال من النشوة و الطرب :يا أهل الإسلام أغيثوني فليس يتركني و نفسي فآنس بها ، و ليس يأخذني من نفسي فأستريح منها ، و هذا دلال لا أطيقه" [30]

و كما أنّ الموت هو تحرر، هو كذلك حياة لهذه النفس ،لأنها عندما تبتعد عن معشوقها لا حياة لها وحتى ذلك الموت الجزئي الذي تتكلم عنه الصوفية من خلال الفناء في الذات الإلهية ،هو ليس حياة النفس و إنما ذلك يكون بالموت الحقيقي ،فكان "الحلاج" يقول و هو في اللّحظات الأخيرة من حياته بعد أن جلد و قبل أن تقطع يداه و رجلاه :

أقْتُلُونِي يَا ثِقَاتِي إنّ فِي قَتْلِي حَيَاتِي

و مَمَاتِي فِي حَيَاتِي وَ حَيَاتِي فِي مَمَاتِي [31]

الموت هو الحياة كما سبق و ذكرنا و هذه الحياة حقيقية لا تشبه تلك التي يعيشها الإنسان في شيء لأنه خلالها يكون ميتا ، و هي أرقى حتى من الفناء الذي يستريح المريد من خلاله من آلام الفراق و العشق،لأنه فناء وقتي والحلاج كان يطلب الفناء الأبدي، واستقبال "الحلاج" للموت بكل افتخار و فرح دليل على ذلك . فعن أبي الحسن الحلواني قال : حضرت "الحلاج" يوم وقعته فأتي به متسلسلا مقيدا و هو يتبختر في قيده و هو يضحك و يقول :

نَدِيمِي غَيْرُ مَنْسُوبٍ إلى شَيْءٍ مِنَ الحَيْفِ

سَقَانِيمِثْلَمَا يَشْرَ بُ فِعْلُ الضَّيفِ بالضَّيْفِ

فَلَمّا دَارَتِ الكَأْسُ دَعَا بالنِّطْعِ و السَّيْفِ

كذَا مَنْ يَشْرَبُ الرَّا حَ مَعَ التّنّينِ فِي الصَّيْفِ [32]

و لأن "الحلاج " كان يتوق لأن يموت لتحقيق كل رغبته في الله فإنه في خلال حياته كان عزاؤه الوحيد هو الصلاة والمجاهدة و إنهاك الجسد ،و كلما طالبته نفسه بشيء إلا و حاربها ، و دعا الله أن يساعده على ذلك ،و هاهي قصة طريفة عن الحلاج لكنها تعبر عن قمة المجاهدة والترفع عما تدعوه إليه نفسه سجينة المادة والجسد " فعن عطاء بن هاشم الكرخي قال خرجت ليلة إلى الصحراء فرأيت الحلاج يقصدني فملت إليه و قلت : السلام عليك أيها الشيخ . فقال :هذا كلب بطنه جائع فأتني بحمل مشوي و رغفان حوّاري، و أنا واقف هاهنا فمضيت و حصّلت ما أحضرته فربط الكلب بإحدى رجليه ووضع الحمل و الرغفان بين يديه حتى أكله ثم خلّى الكلب و أرسله. قال لي : هذا الذي تطالبني به نفسي منذ أيّام ، و كنت معنفها حتى أخرجتني الليلة في طلبه ،و الله تعالي غلّبني عليها ثم طاب وقته وأنشأ يقول في وجده :

كَفَرْتُ بِدِينِ الله و الكُفْرُ وَاجِبٌ عَليَّ ،و عِندَ المِسْلِمِينَ قَبِيحُ [33]

لقد كان " الحلاج" يبحث عن حرية روحه ، لذلك كان يضحي بجسده قربانا ،و كلما قسي على نفسه أحس أنه لم يصل بعد ،فكانت كل شطحاته و عباراته المبهمة و الواضحة و الدموع التي تبلل مكان جلوسه و العرق الذي يظهر عليه و الدم الذي يخرج من أنفه و فمه عبارة عن توقه و اشتياقه ، و أن ذلك هو الطريقة الوحيدة التي تنطلق من خلال الروح إلى المطلق معبرة بذلك عن الأزلية.

وكان كلما أشرق عليه نور الله في سره وانكشف له الحجاب زاد شوقه إلى معرفة الحق فلم يتحقق له ذلك ولم يستطع أن يعرف الله كل المعرفة ،وقد تجلى له في سره ونفسه وذاته ووجوده فأدرك حينها أن الموت هو الذي يخلصه .

لقد كان"سقراط" يقول دائما " أن كل ما يعرفه هو أنه لا يعرف شيئا" و لكنه سيعرف و سيجلس مع الحكماء بجوار الآلهة ، عندما يموت لأنها ستصبغ عليه ذلك ،و هو ما يفسر استعجاله للموت و سعادته و هو يتجرع السم يقينا منه بأنه سيدرك المعرفة و الحقيقة و الكمال لان نفسه ستنفصل عن عالم الجسد وتتصل بالعالم الإلهي وسيرحل سقراط إلى"عالم نبيل طاهر غير منظور نحو ديار هاديس ،لو أردنا أن نقول اسمه الحقيقي ،بجوار إله خير وحكيم "[34].

كذلك كان الحلاج يوم صلب [35]،وعندما خرج ليطبق عليه الحكم كان يمشي متبخترا كالطائر الذي تفك قيوده ليحلق بكل حرية ، لأنه لم يطق الفراق والبعد و الاشتياق و أنه بالموت سيحقق الوصال وسيعرف [36] الحلاج الله و هذا لا يعني أنه لا

يعرفه ،و إنما ذلك كان محدودا جدا لم يكفه و لم يروي عطشه إلى المطلق ،فمعرفته له كانت قائمة على ذاته ،فوجوده هو تأكيد يقتني على وجود الله فكان يقول " إن لم تعرفوه فاعرفوا آثاره و أنا ذلك الأثر " [37]

إلا أن هذا الأثر لا يعرفنا بالله كل المعرفة بل هو شعور باطني يكشف عنه ، والمعرفة التي يقصدها الحلاج هي " وراء ، الوراء ، وراء المدى ،وراء الهمة ،وراء الأسرار،وراء الأخبار ،وراء الإدراك".[38]

فالإنسان لا يمكن أن يعرف الله لأنه هو الذي يعرف بل هو كل المعرفة ، فهو يقول فيه :" سبحان الذي حجبهم بالاسم و الرسم والوسم حجبهم بالقال و الحال ،و الكمال و الجمال عن الذي لم يزل و لا يزال .القلب مضغة جوفانية ،فالمعرفة لا تستقر فيها لأنها ربانية" .[39]

إن المعرفة إلهية و لا يمكن أن تكون من طبيعة الإنسانية لأن قصور مداركها و محدوديتها يمنعها من أن تعرف الأشياء وحقيقتها ،و كل ما تحصله ناقص ،و هنا يتعجب الحلاج من محدودية إدراكه ليؤكد في الأخير أنه لا يمكنه أن يعرف الله في كليته و اطلاقيته فيقول "يا عجبا ممن لا يعرف شعرة من بدنه ،كيف تنبت سوداء أم بيضاء ،كيف مكوّن الأشياء . من لا يعرف المجمل و المفصل، ولا يعرف الآخر والأول ، و التصاريف و العقل و الحقائق و الحيل ،لا تصح له معرفة من لم يزل".[40]

فلا يمكن إذا للحواس أو الذات أن تدرك المعرفة لأن هذه الأخيرة تتميز بصفات الكلية و الاطلاقية و لا يمسها نقص فالعارف "من رآى" و المعرفة "بمن بقى" المعرفة طرقها مسدودة ما إليها سبيل معانيها مبينة ما عليها دليل لا تدركها الحواس ولا يلحقها أوصاف الناس " .[41]

و بالتالي يمكن أن نميز من خلال ما قاله الحلاج الاختلاف الحاصل بين المعرفة الذاتية و المعرفة الخالصة أو معرفة الله ،فالأولى هي نسبية لا يمكن أن تحصل على كل المعرفة ،لذلك كان الحلاج يتوق إلى أن يصل إلى معرفة الحق ، و كان كلما بلغ مرتبة أو مقاما من مقامات الصوفية و كما انكشف عنه الحجاب كلما فاض شوقا و حرقة إلى معرفة معشوقه و طلب المزيد ، لمعرفة كل المعرفة لإدراك الله ،و لكن ذلك مستحيل لأنه ناقص و محدود و معرفته جزئية و ذاتية فكان يدعو الله أن يخلصه من هذا العذاب و أن يموت حتى يحيا و يتحرر و يستريح.

هي إذا رؤية صوفية خالصة عاشقة اعتبرت الموت خلاصا و راحة لها و رغم لذة السكر الممزوج بالألم في لحظات الفناء إلا أنها لم تكتفي و كانت تطلب المزيد فلم تجد مخرجا إلا الموت الذي هو انقطاع عن الخلق و فناء في الحق .

إنّ مجمل هذه الأفكار التي أوردناها عن الحلاج ،و عن سقراط من قبله هي التي جعلت من فكرة الموت حاملة لمضامين جديدة خلقت تواصلا بين خطابين مختلفين ، بل وأعطت صياغة جديدة له من كونه مصيرا حتميا ونهاية غامضة إلى بداية مليئة بالنشوة والمعرفة والحرية و من استحالة الوجود إلى إمكانيته .

و إضافة إلى هذا كله سيغدو الموت في تصورهما على أنه تحرر و خلاص من سجن الحياة ، و أن رسالتهما هي في الحقيقة سعي إليه أو بالأحرى ممارستة و تدرب عليه كما يشير إلى ذلك " سقراط" و تقرب من المعشوق و فناء فيه كما هو عند "الحلاج" ،فتجربتهما هي تجسيد لمشهد الدفاع عن حياة حقيقية خالصة وأبدية، و هاهو سقراط يقول "أولئك الذين تقرر أن حياتهم ذات قداسة متناهية ، فإنهم يتحررون فورا من أعماق الأرض و يطلق سراحهم مثل الطيور التي تحلق في الفضاء ".[42]

ويجب أن نحرص على القول في الأخير بأن الاختلاف بين سقراط والحلاج من حيث النزعة الدينية والغاية المرغوبة من بعد الموت ،هو مسألة جوهرية يجب أخذها بعين الاعتبار وإلا ستكون المقاربة مستحيلة .

إذ نحن نعلم كل العلم أن سقراط قال بأن الموت هو الحياة الحقيقية وأنه يجب السعي إليه من خلال التدرب والممارسة ،وهو كذلك السبيل الوحيد للتحرر من الجسد و به نحصِّل المعرفة ونبلغ الكمال ،ونعلم كذلك أن الحلاج قال إن حياته الحقيقية تكون بموته ،وأنه كان يجاهد نفسه بالعبادة والصلاة لتنكشف له أنوار الحق في سره وأن حريته ستكون عندما يموت حينها فقط يتحرر من حرقة الشوق و العشق وأنه وهو حي لا يمكن أن يعرف الله ،وكل معرفة به هي ناقصة محدودة .

فالموت عندهما إذا هو الحياة الحقيقية وهو حرية ومعرفة وخلاص ،لكن الحياة التي يتكلم عنها سقراط غير الحياة التي كان يتوق إليها الحلاج ،والحرية وان كانت تعني التخلص من القيود فما كان يقيد سقراط هو غير ما كان يقيد الحلاج والغاية المرغوبة أيضا اختلفت فالمعرفة عند الفيلسوف ليست المعرفة عند الحلاج ،ورغم ذلك كان الموت حياة وحرية وكمالا وغاية منشودة عندهما يجب السعي إليه.

الإحالات والهوامش:

1. ابن سينا ، الإشارات و التنبيهات مع شرح نصر الدين الطوسي ،تحقيق سليمان دنيا ،القسم الرابع ،دار المعارف ،القاهرة ، ،الطبعة الثانية ،بدون سنة أنظر الشرح والتعليق ،ص47.

2. بداية وقبل عرض مولده وحياته نشير إلى أن الكثير من المؤرخين والباحثين من يعتبر "سقراط" شخصية أسطورية غير موجودة صنعها أفلاطون من خلال محاوراته .إلا أن البعض الآخر يعتبره من أعظم الفلاسفة اليونان وأب الأخلاق ، ويؤرخ له أنه عاش بين (469–399 ق.م) بأثينا كان أبوه نحاتا وأمه قابلة ويقال أنه اشتغل بمهنة أبيه ، لكنه ما لبث أن تخلى عن ذلك واتجه إلى الاشتغال بالفلسفة والدعوة إلى الأخلاق والفضيلة حيث اعتبر أن ذلك رسالة مكلف بها، لم يغادر أثينا إلا لفترات قصيرة عندما كان جنديا في ثلاث مناسبات ، حيث اشترك في حربين دامت الأولى من سنة (432– 429 ق.م)، ووقعت الثانية سنة(422 ق.م)، لم يكن يهتم بالسياسة أو بالاشتغال بها ، ولأن القرعة أصابته فانه اشترك في مجلس الشيوخ فعرف بالعدل والنزاهة ، واستقلال الرأي بين الديمقراطيين والأرستقراطيين ، وما أن أنهى فترة انتخابه حتى عاد إلى تبليغ رسالته ودعوة الشباب إلى الأخلاق والفضيلة حتى بلغ السبعين من عمره ، وأول تهمة وجهت له هي إنكار آلهة المدينة وتعليم التلاميذ تغليب الباطل على الحق ،وفي سنة 399 اتهمه ثلاثة من أثينا بأنه ينكر آلهة المدينة ويقول بغيرهم ويفسد الشباب وهم "أنيتوس" أحد رؤوس الصناعة وزعماء الديمقراطية و"مليتوس" كان شاعرا و"ليقون" كان خطيبا . قضى ثلاثين يوما في السجن قبل إعدامه ، ويقال أن أصدقاءه هيئوا له ظروف الهرب لكن رفض ذلك.

3. الحسين بن منصور الحلاج و يكني أبا المغيث و قيل أبا عبد الله ، كان جده مجوسيا , من أهل البيضاء بفارس . ولد سنة (244 هـ–857 م) ، و سوف نختصر كل حياته في الرواية التي ذكرت في كتاب تاريخ بغداد على لسان ابن الحلاج حيث يذكر البغدادي : حدثني أبو سعيد مسعود ، بن ناصر بن أبي زيد السجستاني ، أنبأنا أبو عبد الله محمد عبد الله بن عبيد الله الشيرازي – بنيسابور – أخبرني أحمد بن حسين ابن منصور بتستر قال : مولد والدي الحسين بن منصور بالبيضاء في موضع يقال له الطور ، و نشأ بتستر ، و تتلمذ على يد سهل بن عبد الله التستري سنتين ، ثم صعد إلى بغداد و كان بالأوقات يمشي بخرقتين مصبغ ، و يلبس بالأوقات الدرعة و العمامة ، و يمشي بالقباء أيضا ، و أول ما سافر من تستر إلى البصرة كان له ثمان عشرة سنة ، ثم خرج بخرقتين إلى عمرو بن عثمان المكي ، و إلى الجنيد بن محمد ، و أقام مع عمر المكي ثمانية عشر شهرا ، ثم تزوج بوالدتي أم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع ، و تغيَر عمرو بن عثمان من تزويجه ، و جرى بين عمرو و بين أبي يعقوب وحشة عظيمة بذلك السبب . ثم اختلف والدي إلى الجنيد بن محمد ،و عرض عليه ما فيه من الأذية لأجل ما يجري بين أبي يعقوب و بين عمرو , فأمره بالسكون و المراعاة ، فصبر على ذلك مدة . ثم خرج إلى مكة و جاور سنة ،ورجع الحسين بن منصور إلى بغداد مع جماعة من الفقراء الصوفية ، فقصد الجنيد بن محمد و سأله عن مسألة فلم يجبه ، و نسبه إلى أنه مدع فيما يسأله ، فاستوحش و أخذ والدتي و رجع إلى تستر و أقام نحوا من سنة ، و وقع له عند الناس قبول عظيم حتى حسده جميع من في وقته ، و لم يزل عمرو بن عثمان يكتب الكتب في بابه إلى خوزستان ، و يتكلم فيه بالعظائم حتى جرد و رمى بثياب الصوفية ، ولبس قباء و أخذ في صحبة أبناء الدنيا ، ثم خرج و غاب عنا خمس سنين بلغ إلى خراسان ، و ما وراء النهر ، و دخل إلى سجستان ، وكرمان ، ثم رجع إلى فارس فأخذ يتكلم على الناس و يتخذ المجلس ، و يدعو الخلق إلى الله . و كان يعرف بفارس بأبي عبد الله الزاهد ، وصنف له تصانيف ، ثم صعد من فارس إلى الأهواز و أنفد من حملني إلى عنده ، وتكلم مع الناس ،وقبله الخاص و العام ، و كان يتكلم على أسرار الناس و ما في قلوبهم ، و يخبر عنها فسمي بذلك حلاج الأسرار , فصار الحلاج لقبه , ثم خرج إلى البصرة و أقام مدة يسيرة وخلفني بالأهواز عند أصحابه , و خرج ثانيا إلى مكة , و لبس المرقعة و الفوطة و خرج معه في تلك السفرة خلق كثير , و حسده أبو يعقوب النهرجوري فتكلم فيه بما تكلم , فرجع إلى البصرة و أقام ببغداد سنة واحدة , ثم قال لبعض أصحابه : احفظ ولدي حمد إلى أن

أعود أنا , فإني قد وقع لي أن أدخل إلى بلاد الشرك و أدعو الخلق إلى الله عز وجل و خرج . فسمعت بخبره أنه قصد إلى الهند ثم قصد خراسان ثانيا و دخل ما وراء النهر ، و تركستان ، و إلى ماصين ، و دعا الخلق إلى الله تعالى ،و صنف لهم كتبا لم تقع إلى ، إلا أنه لما رجع كانوا يكاتبونه من الهند بالمغيث ، و من بلاد ماصين و تركستان بالمقيت ، و من خراسان بالمميز ، و من فارس بأب عبد الله الزاهد ، و من خوزستان بالشيخ حلاج الأسرار، و كان ببغداد قوم يسمونه المصطلم، و بالبصرة قوم يسمونه المحير ، ثم كثرت الأقاويل عليه بعد رجوعه من هده السفرة , فقام وحج ثالثا و جاور سنتين ثم رجع و تغير عما كان عليه في الأول ، و اقتنى العقار ببغداد ، و بنا دارا ودعا الناس إلى معنى لم أقف إلا على شطر منه.

4. الشيخ احمد رضا، معجم متن اللغة العربية ، موسوعة لغوية حديثة، مجلد5، دار مكتبة الحياة بيروت1960 سنة، بدون طبعة،ص363.

5. إن التفسير العلمي البيولوجي للموت هو : التوقف النهائي والكامل لكل الوظائف الحيوية في الجسم ، وتهدم الوحدات النسيجية والخلايا ، ويمكن تحديد ذلك عبر الخطوات الثلاث التالية ، بدون تفاعل وبدون تفكير ، وانعدام التنفس وتوقف الوظائف الدماغية و العصبية

6. الحياة في اللغة نقيض الموت، وهي النمو والبقاء والمنفعة ،والحي من كل شيء نقيض الميت ، والحي أيضا كل متكلم ناطق ، ويعرفها علماء الحياة بأنها مجموع ما يشاهد في الحيوانات والنباتات من مميزات ، تفرق بينها وبين الجمادات مثل التغذية والنمو والتناسل .

7. زكرياء إبراهيم ، مشكلة الإنسان ، ملتزم الطبع والنشر مصر ، الطبعة الأولى ، سنة 1959 ص149.

8. سنكاSenca حوالي ق4ق.م ، من ممثلي الرواقية المتأخرة إضافة إلى أبكتيوس،وماركوس،وأوريليوس.

9. جاك شورون ، الموت في الفكر الغربي ، ترجمة كامل يوسف ، حسين مراجعة وتقديم ، إمام عبد الفتاح إمام ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، بدون طبعة ت

10. وتاريخ ص76.

11. جون بول سارتر ،الوجود والعدم بحثٌ في الانطُولُوجيا الظَهرَاتِيَّة ،ترجمة عبد الرحمان بدوي ،منشورات دار الآداب بيروت،الطبعة الأولى 1966،ص152.

12. الجرجاني علي بن محمد ،كتاب التعريفات ،تعريفات مصطلحات (علوم قرآن – فقه– لغة – فلسفة – تصوف – مكاييل – موازيين – مقاييس) رتب على الحروف ألفبائيا ، تحقيق وزيادة محمد عبد الرحمان المرعشلي ،دار النفائس ،بيروت الطبعة الأولى 2003 ،ص324.

13. رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ناشرون مكتبة لبنان ، الطبعة الأولى 1999 ،ص952 .

14. إبراهيم محمد تركي، فلسفة الموت عند الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع ،طبعة جديدة ،سنة 1992 ص 137.

15. المرجع السابق ،ص164

16. الجرجاني علي بن محمد ،كتاب التعريفات ،مذكور سابقا

17. ،ص324.

18. أفلاطون ، فيدون سلسلة محاورات أفلاطون مترجم عن النص اليوناني، فيدون في خلود النفس، ترجمة وتقديم عزت قرني ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،2001،ص102.

19. المصدر السابق ، ص104.

20. أفلاطون ،الأصول الأفلاطونية ،فيدون و كتاب التفاحة المنسوب إلى سقراط ترجمة و تعليق و تحقيق علي سامي النشار و عباس الشربيني ،دار المعارف بدون طبعة وسنة ،ص61.

21. المصدر السابق،ص 38.

22. أفلاطون، فيدون سلسة محاورات أفلاطون،مصدر مذكور سابقا ،ص 130.

23. المصدر السابق ،ص129.

24. في كتاب" اللّمع "يعرف "السراج الطوسي"الشطح بقوله : "ألا ترى أن الماء الكثير إذا جرى في نهر ضيق فيفيض من حافتيه ، يقال شطح الماء في النهر ، فكذلك المريد الواجد إذا قوى وجده ولم يطق حمل ما يرد على قلبه من سطوة أنوار ،شطح ذلك على لسانه فيترجم عنها بعبارة مستغربة مشكلة على فُهُومِ سامعيها إلا من كان من أهلها ،فسمي ذلك على لسان أهل الاصطلاح شطحا" أنظر إبن نصر السراج الطوسي ،حققه وقدم له عبد الحليم محمود ،طه عبد الباقي سرور ،مصر ،دار الكتب الحديثة ، 1960،بدون طبعة ص453-454،ويعرفه الجرجاني في كتابه التعريفات في الصفحة (102)بقوله:" عِبارةٌ عن كلمةٍ عليها رائحة رُعُونَةٍ ودعوىً وهو من زَلاّتِ المحقّقين ،فَإنّه دعوى بحقٍّ يُفْصِحُ بها العارف من غير إذنٍ إلهيّ بطريق يُشْعِرُ بالنباهَةِ"

25. عنوانه الكامل "طاسين الأزل والالتباس في صحة الدعاوي بعكس المعاني"كتبه الحلاج وهو في السجن وهو يمثل المرحلة المتأخرة من فكره.

26. الحلاج ،الأعمال الكاملة ،(التفسير ،الطواسين ،بستان المعرفة ،نصوص الولاية ، المرويات ،الديوان)تبويب وتحقيق قاسم محمد عباس ،بيروت لبنان ،2002 الطبعة الاولى ،ص289.

27. المصدر السابق ، ص310.

28. الحلاج ، ديوان الحلاج و معه أخبار الحلاج و كتاب الطواسين ، وضع حواشيه وعلق عليه محمد باسل عيون السود،دار الكتاب العلمية لبنان،2002 الطبعة الثانية ،ص180.

29. المصدر السابق ،ص57.

30. علي بن أنجب السّاعي البغدادي ،أخبار الحلاج (من أندر الأصول المخططة في سيرة الحلاج) تصنيف ،تقديم هادي العلوي ،أكرم أنطاكي ،فائق حويجة ،حقق أصوله و علق عليه موفق فوزي ، الجبر،دار الطليعة الجديدة :طبعة الثانية،1997 دمشق ص 80.

31. إبراهيم تركي ، فلسفة الموت عند الصوفية ،مذكور سابقا ص 167.

32. علي بن أنجب السّاعي البغدادي ،أخبار الحلاج ، مذكور سابقا ،ص 40.

33. الحلاج ، ديوان الحلاج و معه أخبار الحلاج و كتاب الطواسين ، مذكور سابقا ،ص 125.

34. المصدر السابق ، ص181.

35. أنجب الساعي البغدادي ، أخبار الحلاج (من أندر الأصول المخطوطة في سيرة الحلاج) مذكور سابقا ،ص 91،90.

36. الحلاج ، ديوان الحلاج و معه أخبار الحلاج و كتاب الطواسين ، مصدر مذكور سابقا ،ص63.

37. في صبيحة يوم الثلاثاء من سنة 309 هـ / 922م بباب خرسان أحضره مجلس الشرطة أمام جمع غفير و ضرب ألف سوط و قطعت يداه و رجلاه و صلب و هو لا يزال حيا و في الغد قطع رأسه و أحرق جسده و رمي في النهر و نصب الرأس يومين على الجسر ثم طيف به في خرسان .

38. إن المعرفة عن المتصوفة لها مفهوم يمكن فهمه من خلال قول القشيري حيث يقول :"إنّ المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته ،ثم تنقى من أخلاقه الرديئة و آفاته ،ثم طال بالباب وقوفه و دام بالقلب اعتكافه فحضر من الله تعالى بجميل إقباله و صدق الله تعالى في جميع أحواله و انقطع عن هواجس نفسه و لم يصغي بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره"،و قال ذي النون :" عرفت ربي بربي" و كان الشبلي يقول:" المعرفة أولها الله تعالى و أخرها ما لانهاية له و يقول ،محمد بن الفضل "المعرفة حياة القلب مع الله تعالى"

39. الحلاج ، ديوان الحلاج ومعه أخبار الحلاج وكتاب الطواسين ، من طاسين الأزل و الالتباس مصدر مذكور سابقا ،ص 104.

40. المصدر السابق ، من بستان المعرفة ،111.

41. المصدر السابق ، ص112.

42. المصدر السابق ، ص112.

43. المصدر السابق ، من طاسين الأزل و الالتباس ،ص 113.

44. أفلاطون ،الأصول الأفلاطونية ،فيدون و كتاب التفاحة المنسوب إلى سقراط المصدر مذكور سابقا ،ص 125.